النجم الذي هوى!

«١»

فجأة نزل إلى قنا شاب في رُفع بوصة الذرة، كأنه خيط حاد شُدّ بالشمع ليستعصي على القطع.

لا يغيِّر لغته حسبًا لنوعية الناس، وإنما يظلون ينظرون إليه في دهشة كأنه كائن فضائي غريب حطَّ بينهم فجأة بلغة فضائية لا يفهمونها ويتحدث عن مخلوقات أخرى مشابهة له، بينما أهالينا البسطاء يظلون أمامه فاغري الأفواه يتعجبون من معجزات الله التي أودعها خلقه.

إنسان رقيق مهذَّب، كأنه منسوج من حرير، وفي نفس الوقت بركان ثائر يقذف بالحمم دون توقُّف، فهو طفولي لكن تمتزج عبقريته بحب شديد للملاعبات والمداعبات.

عيناه حمراوان كأنه شرب لتوِّه برميل روم، سبابة يمناه طويلة، ومستعدة لتنغرس في عين كل من يقول كلمة ضد الأستاذ عباس محمود العقاد!

إنه يحيى الطاهر عبد الله، كما وصفه الخال عبد الرحمن الأبنودي، مذ رآه لأول مرة حضر فيها إلى بيته، ودَقَّ الباب، وقالت فاطمة قنديل، والدة الأبنودي: «عاوز إيه؟» فقال: «عاوز عبد الرحمن»، فسألته: «أنت مين؟»، فردّ: «جوليله يحيى الطاهر عبد الله»، فشدَّت فاطمة قنديل «السُّقاطة» ليدخل.

ومر يحيى الطاهر من الباب، واستقرّ في إحدى الغرف،

فدخل وقعد وولع سيجارة، وقرر أن لا يغادر هذا البيت أبدًا، دون أن يدعوه أحد أو يستأذن من أحد.

وجلس يحيى الطاهر، وحصل على حقوق لم يحصل عليها عبد الرحمن ذاته، لدرجة أنه كان يدخل في نقاشات عنيفة مع أبناء الشيخ الأبنودي الكبار، وينتقدهم علنًا حتى ضاقوا به، لكنه لم يكن يحسّ ذلك، فقد كان يعتقد أنه يرى الحقيقة، وعلى الجميع أن يروا ما يراه وإلا كانوا متخاذلين لا يبغون تطوير أنفسهم، وذهبت محاولات الخال لإسكاته سُدًى، بل إنه كان يتعجب حين يقول له الخال إنه يجب أن يتصرف باعتباره ضيفًا سوف يرحل آجلًا أم عاجلًا.

وكان يردّ على الأبنودي بهدوء شديد قائلًا: مَن قال إنني سوف أرحل؟ ثم أن إخوتك لا يملكون الحق في الضيق بي لأنني في هذا البيت أسلك في إطار حقوقك أنت، إذ إنني أنت، وإذا لم يكن يعجب أبناء الشيخ وجودي بينهم فليرحلوا»!

راقبه أبناء الشيخ الأبنودي أيامًا ثم قرروا أنه مجنون، وأنه ليس من الطبيعي لرجل لا يعرفون عنه شيئًا أن يصبح عضوا دائمًا في البيت يعرف أسراره، ويحضر الشجارات ويتدخل فيها وينحاز إلى جانب ضد جانب، ويفعل ما يشاء وقتما يشاء.

هكذا أقام يحيى الطاهر في بيت الشيخ، كأنه نزل إليهم بالبراشوت لينزرع في قلب أمل وعبد الرحمن دون سابق معرفة أو إنذار، كأنه يحيا بينهم منذ ولادتهم.

«٢»

يحيى الطاهر شخصية بديعة ومبدعة لكنه أيضًا -مثل أفذاذ كثيرين- به مَسٌّ من جنون؛ فذات يوم قرر أن يترك عمله، ويتفرغ للقراءة، وذهب إلى أمل دنقل وعبد الرحمن الأبنودي ليبلغهما القرار، حينها ثار أمل في وجهه ثورة عنيفة، فإذا بيحيى يقول: «طب وفيها إيه يا أمل؟ فيها إيه يا خيّي؟ أنا جيت من الكرنك علشان أشوفكم انتو ولّا عشان الوظيفة؟ يجطع الوظيفة واللي يعوز الوظيفة».

قال أمل: «وكيف تأكل وتشرب وتدخن هذا الكم من السجائر التي لا ندخنها مجتمعين؟».

ويرد يحيى: «إهدا بس يا خيّي. الأكل والشرب عند الحاجة أم عبد الرحمن، الأكل في بيت الشيخ الأبنودي يكفي جَبيلة، أما عن الدخان فمتآخذنيش ده انت أبو الكرم، مثلا علبة السجاير دى جابها لي مصطفى الشريف...».

ويصرخ أمل قائلًا: «وكمان عرفت مصطفى الشريف؟ إمتى وفين؟».

يقول يحيى الطاهر: «لقيته في الندوة واتكلمت معاه، وكلمة من هنا وكلمة من هناك لقيت الراجل حبّني وراح اشترالي علبتين سجاير».

المدهش أن يحيى الطاهر كان قد ترك عمله قبل أن يحزم حقائبه ويحملها إلى قنا، لكن كان يدرك أن هذا القرار سيتسبب في ثورة ضده، لذلك كتمه في قلبه، ولم يبلغ به أحدًا، بل ادَّعى أنه انتقل للعمل من وزارة الزراعة في الأقصر إلى قنا حتى يقتنع

الجميع بما فعله.

مذ ذلك الوقت صار عبد الرحمن وأمل وثالثهم يحيى الطاهر لا يفترقون أبدًا، يأكلون ويشربون ويسهرون معًا.

لكنها صدفة عجيبة ومذهلة أيضًا أن يُمنح الجنوب ثلاثة على هذا القدر من العبقرية والتفرد في زمن واحد، شاعران فذَّان، وأديب متفرد، إلا أنهم من كثرة «العِشرة» و«العيش والملح» صاروا ثلاثة شعراء؛ إذ لُقب يحيى الطاهر بشاعر القصة القصيرة.

«٣»

وُلد يحيى في ٣٠ أبريل ١٩٣٨ في قرية الكرنك بمحافظة الأقصر، ورحلت والدته عن الدنيا وهو في سن صغيرة، وتركته مع أخواته الثماني، فربَّته خالته التي صارت زوجة أبيه في ما بعد، أما والده فكان شيخًا معمَّمًا يقوم بالتدريس في إحدى المدارس الابتدائية بالقرية، فطبع حب اللغة العربية في قلب نجله، لكنه لم ينل حظه الوافر من التعليم، فقد تلقَّى تعليمه في قرية الكرنك حتى حصل على دبلوم الزراعة المتوسطة ثم عمل بوزارة الزراعة لفترة قصيرة.

لكنه ترك الوظيفة وسار خلف حلمه، وبدأ يقرأ بنهم شديد، ويكتب بتركيز كبير، لمدة عامين متتاليين دون أن ينشر شيئًا، وفي ١٩٦١ كتب أولى قصصه القصيرة «محبوب الشمس»، والتقى يوسف إدريس، وحين قرأ قصصه في مقهى «ريش» قرر أن يقدمه في مجلة «الكاتب»، وإدريس لا يعترف إلا بالأفذاذ.

واستمرت رحلة يحيى الطاهر وانطلق كالشهاب، لا أحد يمكن أن يوقِف قطار إبداعاته، فكتب «ثلاث شجيرات تثمر

برتقالا»، و«الطوق والأسورة»، و«الحقائق القديمة صالحة لإثارة الدهشة»، وغيرها من الأعمال الأدبية التي تجعله واحدًا من علامات الأدب، لكن المواهب الكبرى غالبًا ما ترحل سريعًا، ففي التاسع من أبريل عام ١٩٨١ رحل قبل أن يكمل عامه الثالث والأربعين في حادثة سيارة على طريق «القاهرة-الواحات»، وحينذاك لم يصدق أحد أن صاحب هذه الموهبة الجبارة قد رحل فجأة، وكتب عنه عملاق القصة القصيرة يوسف إدريس مقالا بعنوان «النجم الذي هوى»، ورثاه الأبنودي، وقال عنه أمل دنقل:

«ليت أسماء تعرف أن أباها صعد
لم يَمُتْ
هل يموت الذي كان يحيا
كأن الحياة أَبَدْ
وكأن الشراب نَفَدْ
وكأن البنات الجميلات يمشين فوق الزبد!!»

obeikandl.com

الفهرس

وما أدراك ما الستينيات ٧
صباح الخير يا أستاذ بهاء ١٣
مهندس الصحافة ١٩
دبّرنا يا كبير ٢٥
جميل العارف بالصحافة ٣١
ثمن المبادىء! ٣٧
الجبل المتحرك بالحب والسخرية! ٤٥
الأستثنائى! ٥١
فارس هذا الزمن الوحيد ٥٧
الشعر ذاته ٦٣
صوت درويش وسوطه ٦٩
جحا القرن العشرين ٧٧
ضحكات عفيفى الصارخة! ٨٣
الطريق إلى بيت أحمد رجب! ٨٩
عمك محمود ٩٧
رجل حدثُ بالفعل ١٠٣
رجل جعل للقلم قلباً! ١١١
نريدُ حلاً! ١١٧
سيدة الكتابة ١٢٣

obeikandl.com

ناقد أحب من ينتقدهم ١٣١
رئيس محكمة النقد! ١٣٧
فرعون فى شوارع القاهرة ١٤١
عذوبة أحمد بهجت ١٤٩
هذا أو الطوفان ١٥٥
كاتب يزعج السلطات ١٦١
٣٠ عاماً من العزلة ١٦٧
مُلحد على سجادة الصلاة ١٧٢
الحفار! ١٨١
لجبل ١٨٥
أفكار ضد الرصاص! ١٩١
النجم الذى هُوى! ١٩٧

obeikandl.com

كتب مُلهِمة

- «سيرة الحبايب»، «مصر يا ولاد»، سناء البيسي.
- «الظُّرَفَاء»، «عودة الحمار»، محمود السعدني.
- «أى كلام»، أحمد رجب.
- «ألعاب السيرك السياسي»، مصطفى محمود.
- «أفكار ضد الرصاص»، «ممنوع من التداول»، محمود عوض.
- «من هنا نبدأ»، «هذا أو الطوفان»، خالد محمد خالد.
- «أيام لها تاريخ»، أحمد بهاء الدين.
- «ضحكات صارخة»، محمد عفيفي.
- «رحلة إلى قلب نهرو»، محمد عودة.
- «أنا وبارونات الصحافة»، جميل عارف.
- «تأملات ساخرة»، «صائمون والله أعلم»، أحمد بهجت.
- «الأعمال الكاملة»، أمل دنقل.
- «الأعمال الكاملة»، محمود درويش.
- «الأعمال الكاملة»، عبد الرحمن الأبنودي.
- «الأعمال الكاملة»، فتحي غانم.
- «الأعمال الكاملة»، صلاح جاهين.
- «شخصية مصر»، جمال حمدان.
- «هم وأنا»، صالح مرسي.
- «الذين أحبوا مي»، كامل الشناوي.
- «أفكار للبيع»، علي أمين.

obeikandl.com

- «دبّرنـا يا وزير»، صلاح حافظ.
- «قُـصّ الكلام»، جلال عامر.
- «شـخصيات وتجارب»، «الإمـام المراغى»، رجاء النقاش.
- «صديقــي لا تــأكل نفســك»، «اندهــش يــا صديقــي»، عبــد الوهــاب مطــاوع.
- «أخبار المصريين في القرن العشرين»، سـعيد هارون عاشـور.

obeikandl.com

obeikandl.com

بتكتب رواية أو قصص أو مقال ..
بالفصحى، بالعامية أو حتى بالأنجليزى ..
بتحب تكتب ، أو تعرف حد بيحب يكتب ،كلمنا ..
هنعمل كل اللى نقدر عليه عشان نساعدك تحقق حلمك
وتكون كاتب معروف ..
لأن فى كيان ، للإبداع مكان ..

اتصل بينا على :
محمول: 01005248794 – 01001872290 – 01000405450
أرضي: 0235688678
www.kayanpublishing.com

وابعتلنا على :
info@kayanpublishing.com
kayanpub@gmail.com

وتابعنا :
kayanpublishing kayan.publish
kayanpublishing kayan_publishing

obeikandl.com